ولما ذكر تعالى بعض العرضيات اللازمة وهو الاختلاف ذكرا الاعراض المفارقة ومن جملتها النوم بالليل والحركة في النهار طلبا في الرزق كما قال تعالى ومن اياته الدالة على القدرة والعلم منامكم اي نومكم ومكانه وزمانه الذي يغلبكم بحيث لا تستطيعون له دفعا بالليل والنهار قيلوله وابتغاؤكم من فضله اي منامكم في الزمانين لاستراحة القوى النفسانية وقوة القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما فان كثيرا ما يكسب الانسان بالليل او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار خلف وضم بين الزمانين والفصلين بعاطفين وهما الواوان اشعارا بان كلا من الزمانين وان اختص باحدهما فهو صالح للاخر عند الحاجة ويؤيده ايات اخر كقوله تعالى وجعلنا الليل لباسا والنهار معاشا وقوله تعالى وجعلنا اية النهار مبصرة ويكون التقدير هكذا ومن اياته منامكم وابتغاؤكم بالليل والنهار من فضله واخر الابتغاء وقرنه في اللفظ بالفضل اشارة الى ان العبد ينبغي ان لا يرى الرزق من كسبه وحذقه بل من فضل ربه ولهذا قرنت الابتغاء بالفضل في كثير من المواضع منها قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله ولقوله تعالى ولتبتغوا من فضله تنبيه قدم تعالى المنام بالليل على الابتغاء بالنهار في الذكر لان الاستراحة مطلوبة لذاتها والطلب لا يكون الا لحاجة فلا يتعب الا محتاج في الحال وخائف من المال ان في ذلك اي الامر العظيم العلي الرتبة من ايجاد النوم بعد النشاط والنشاط بعد النوم الذي هو الموت الاصغر وايجاد كل من الملوين بعد اعدامهما والجد في الابتغاء بعد المفارقة في التحصيل لايات عديدة على القدرة والعلم لا سيما البعث لقوم يسمعون اي من الدعاة والنصاح سماع تفهم واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة تنبيه قال هنا ايات لقوم يسمعون وقال تعالى من قبل لقوم يتفكرون وقال تعالى للعالمين لان المنام بالليل والابتغاء يظن الجاهل او الغافل انهما مما يقتضيه طبع الحيوان فلا يظهر لكل احد كونهما من نعم الله تعالى فلم يقل ايات للعالمين ولان الامرين الاولين وهما اختلاف الالسنة والالوان فانهما من بدو الانسان فجعلهما ايات عليه واما قوله تعالى لقوم يتفكرون فان من الاشياء ما يعلم من غير تفكر ومنها ما يكفي فيه مجرد الفكرة ومنها ما يحتاج الى موقف يوقف عليه ومرشد يرشد اليه فيفهمه اذا سمعه من ذلك المرشد ومنها ما يحتاج بعض الناس في تفهمه الى امثال حسية كالاشكال الهندسية لان خلق الازواج لا يقع لاحد انه بالطبع الا اذا كان جامد الفكر فاذا تفكر علم ذلك الخالق اية واما المنام والابتغاء فلا يقع لكثير انهما من افعاله وقد يحتاج الى مرشد

يعين

٩٦

يعين لفكره فقال لقوم يسمعون ويجعلون بالهم من كلام المرشد ولما ذكر تعالى العرضيات اللازمة للانفس والمفارقة ذكر العرضيات التي للافاق بقوله تعالى ومن اياته الدالة على عظيم قدرته يريكم البرق اي اراءكم له على مسارب وكيفيات طال ما شاهدتموها تارة تاتي بما يضر وتارة بما يسر كما قال تعالى خوفا اي للاخافة من الصواعق المحرقة وطمعا اي وللاطماع في المياه العذبة وينزل من السماء ماء اي الذي لا يمكن لاحد غيره دعواه وقرا ابن كثير وابو عمرو بسكون النون وتخفيف الزاي والباقون بفتح النون وتشديد الزاي فيحيي به اي بذلك الماء خاصة لان اكثر الارض لا يسقى بغيره الارض اي بالنبات الذي هو لها كالروح لجسد الانسان بعد موتها اي يبسها ان في ذلك اي الامر العظيم العالي القدر لايات لا سيما على القدرة على البعث لقوم يعقلون اي يتدبرون فيستعملون عقولهم في استنباط اسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع تنبيه كما قدم السماء على الارض قدم ما هو من السماء وهو البرق والمطر على ما هو من الارض وهو الانبات والاحياء وكما ان في انزال المطر وانبات الشجر منافع كذلك في تقديم الرعد والبرق على المطر منفعة وهي ان البرق اذا لاح فالذي لا يكون تحت كن يخاف الابتلال فيستعد له والذي له صهريج او مصنع يجمع ماء او زرع سوى مجاري الماء ونحوه اهل البوادي لا يعلمون البلاد المعشبة اذ لم يكونوا قد رأوا البروق اللائحة من جانب دون جانب واعلم ان دلائل البروق وفوائده وان لم تظهر للمقيمين في البلاد فهي ظاهرة للبادين فلهذا جعل تقديم البرق على تنزيل الماء من السماء نعمة واية فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى هنا ايات لقوم يعقلون وفيما تقدم لقوم يتفكرون اجيب لما كان حدوث الولد من الوالد امرا عاديا مطردا قليل الاختلاف كان يتطرق الى الاوهام العامية ان ذلك بالطبيعة لان المطرد اقرب الى الطبيعة من البرق والبرق والمطر ليس امرا مطردا بل يختلف انه يقع ببلدة دون بلدة وفي وقت دون وقت وتارة يكون قويا وتارة يكون ضعيفا فهو اظهر في العقل دلالة على الفاعل المختار فقال هو اية لمن له عقل وان لم يتفكر تفكرا تاما ثم ذكر تعالى من لوازم السماء والارض فيما بينهما بقوله تعالى ومن اياته اي على تمام القدرة وكمال الحكمة ان تقوم السماء والارض قال ابن مسعود قامتا على غير عمد وهذا من اللوازم فان الارض لا تخرج عن مكانها الذي هي فيه وانما افرد السماء والارض لان السماء الاولى والارض الاولى لا تقبل النزاع لانها مشاهدة مع صلاحية اللفظ بالكل لانه جنس تنبيه ذكر تعالى من كل باب امرين اما من النفس فقوله تعالى خلقكم وخلق لكم واستدل بخلق الزوجين

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1